9Marks IX سلسلة بناء الكنائس الصحيحة

العبادة الجماعيَّة

كيف تجتمع الكنيسة بوصفها شعب اللّه؟

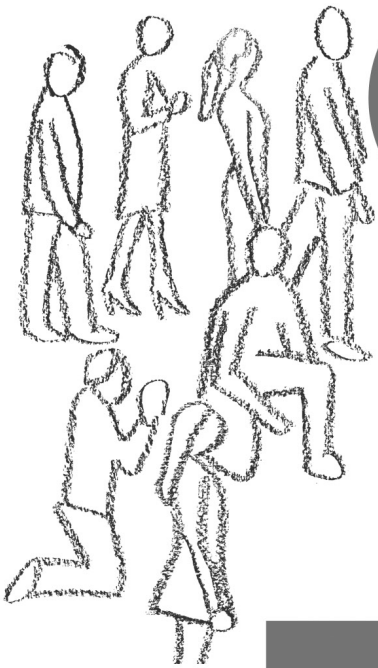

مات ميركر

تقديم ليجون دنكان

المحتويات

تقديم		٧
تقديمُ السِّلسلة		١٣
شُكرٌ خاصٌّ		١٥
المُقدِّمة		١٧
الفصلُ الأوَّل	مَن الذي يجتمع؟	٢٥
الفصلُ الثَّاني	هل يتحتَّم علينا أن نجتمع؟	٤١
الفصلُ الثَّالث	لماذا يجمعنا الله؟	٥٧
الفصلُ الرَّابع	ما الذي يجب فعله عندما نجتمع؟	٧٣
الفصلُ الخامس	كيف ينبغي أن نُرتِّب الاجتماع؟	٨٩
الفصلُ السَّادس	كيف تُشارِك الكنيسة بأكملِها في الاجتماع؟	١١١
الفصلُ السَّابع	كيف تُشارِك الكنيسة بالكامل في التَّرنيم الجماعيّ؟	١٢٩
الخاتمة		١٤٩
مُلحق	نماذج على ترتيب الخدمة	١٥٣

تقديم

يتحدَّث هذا الكتاب عن العبادة، وعلى وجه التَّحديد "العبادة الجماعيَّة"، أي اجتماع المُؤمنين لهدفٍ واضحٍ، وهو تسبيح الله. وهذا موضوعٌ ونشاطٌ مُهمّان للغاية، فالله خَلَقَ النَّاسَ وخلَّص المؤمنين وفداهم بهدف العبادة. يُوضِّح بولس الرَّسول ذلك في أفسس ١ عندما يقول إنَّ كلَّ شيءٍ في خطَّة الله للخلاص منذ بَدء الزَّمان يهدف إلى أنْ يقودنا إلى "مَدحِ مَجدِهِ". وإذا أغفلنا هذه العبارة هذه المرَّة، فإنَّه يقولها ثلاث مرَّاتٍ أُخَر (أفسس ١: ٦، ١٢، ١٤). يُوجِّهنا هيوز أوليفانت أولد -الذي ربّما كان يعرف عن تاريخ العبادة المسيحيَّة أكثر مِن أيّ كاتبٍ پروتستانتيٍّ آخر في الآونة الأخيرة- لى سِفر المزامير، ثمَّ يعود إلى هذا المقطع مِن رسالة بولس الرَّسول ليشرح قائلًا:

> نحن نعبُد الله لأنَّه خَلَقَنا لنعبُده، فالعبادة هي محور وجودِنا، وجوهر سبب كينونتنا. لقد خلقنا الله لنكون على صورتِه، أي صورة تعكس مجده. في الواقع، لقد وُجِدت الخليقة كلُّها لتعكس المجد الإلهيّ. يُخبرنا المزاميريّ قائلًا: "السَّماواتُ تُحَدِّثُ بمَجدِ اللهِ، والفَلَكُ يُخبِرُ بعَمَلِ يَدَيهِ" (المزمور ١٩: ١). ويُوضِّح بولس الرَّسول، في الصَّلاة التي يبدأ بها الرِّسالة إلى أفسس، أنَّ الله خلقنا لنُسبِّحه:
>
> "مُبارَكٌ اللهُ أبو رَبِّنا يَسوعَ المَسيحِ، الَّذي بارَكَنا بكُلِّ بَرَكَةٍ روحيَّةٍ في السَّماويَّاتِ في المَسيحِ، كما اختارَنا فيهِ قَبلَ تأسيسِ العالَمِ، لنَكونَ قِدِّيسينَ وبلا لومٍ قُدَّامَهُ في المَحَبَّةِ، إذ سبَقَ فعَيَّنَنا للتَّبَنِّي بيَسوعَ

المَسيحِ لنَفسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشيئَتِهِ، لمَدحِ مَجدِ نِعمَتِهِ..." (أفسس ١: ٣- ٦).

تقول هذه الصَّلاة الكثير عن العبادة التي قدَّمها المُؤمنون في القرن الأوَّل، وتُظهِر لنا إدراك هؤلاء المُؤمنين للأهميَّة القصوى لعبادتهم. لقد فهموا أنَّهم مُختارون ومُعيَّنون ليعيشوا لمدح مجد الله (أفسس ١: ١٢).[1]

ما هي العبادة؟ حسنًا، يُخبِرنا المزاميريّ بإيجازٍ بأنَّها تقديم المجد للرَّب الذي يليق باسمِه (المزمور ٢٩: ١- ٢). إذًا، ما الذي ينبغي أنْ نهدف لفعله في العبادة الجماعيَّة؟ هدفنا عند اجتماع جماعة المُؤمنين للقاء الله في العبادة العامَّة في يوم الرَّب، هو تمجيد الله والتَّلذُّذ به، حسبما تقول كلمته المكتوبة. أي أنَّ الهدف الأهمّ مِن الاجتماع معًا، بوصفنا شعب الله في العبادة الجماعيَّة، هو تقديم المجد اللائق باسمِ الرَّبِّ والتَّلذُّذ ببَركة حضوره المُميَّز والموعود في وسط شعبِه، في خضوعٍ لتعاليمه المُعلَنَة في الكتاب المُقدَّس.

تُسمَّى العبادة الجماعيَّة كذلك لأنَّ جميع أعضاء جسد المسيح *Corpus of Christ*، أي شعب الله أو الكنيسة، يشتركون في هذه المُقابلة مع الله. ويُشار أحيانًا إلى أنَّها عبادةٌ تحدُث في "تجمُّع" أو "حشد" أو "جمهور" أو "جماعة". وهذه المُسمّيات جميعًا مُفيدةٌ وتُضفي أبعادًا مُختلفةً لهذا الجانب المُهمّ مِن العبادة الكتابيَّة. وعلى الرغم من أنَّ الكتاب المُقدَّس يُشير إلى وجود أوجُهٍ مُميَّزةٍ ومُهمَّةٍ للعبادة المسيحيَّة فضلًا على العبادة العامَّة؛ مثل: العبادة العائليَّة والعبادة الخاصَّة والعبادة في كُلِّ أوجُه الحياة، فإنَّ

1 Hughes Oliphant Old, *Worship: Reformed according to Scripture* (Louisville: Westminster/John Knox, 2002), 1.

أهميَّة العبادة العامَّة أو الجماعيَّة تظهر في كلا العهدَيْن القديم والجديد. عندما يتحدَّث المزمور ١٠٠: ٢ وعبرانيّين ١٠: ٢٥ عن "الدُّخول إلى حضرة الرَّب" و"اجتماعنا معًا"، فإنَّ كليهما يتناوَل العبادة العامَّة أو الجماعيَّة.

نُؤمِن، نحن المُؤمنين، بأهميَّة العبادة الجماعيَّة، لأنَّ الله جعلنا عائلته، والعبادة الجماعيَّة هي لقاء عائليّ مع الله، وتفاعُل جماعة العهد مع الله، واجتماعها مع شعبِه لطلب وجهه، وتمجيده والتَّلذُّذ به، وسماع كلمته، والفرح بمجد الاتِّحاد والشَّركة معه، والاستجابة لكلمته، وتقديم التَّسبيح لهوالمجد اللائق باسمِه.

يُوضِّح العهد الجديد أنَّ جماعة المُؤمنين وعائلة المسيح وجسده ومُجتمعه، هي الموضع الذي يحلّ فيه الله على نحوٍ خاص في هذا العالَم. في أيّام العهد القديم، كان الموضع الذي أظهر فيه الله حضوره الخاص والمُميَّز هو "خيمة الاجتماع" أو "الهيكل" أو "أورشليم". وهذا "الموضع" الخاص في العهد الجديد هو الآن حيثما يكون بيت الرَّب، أي حيثما يكون شعبُه مُجتمعين. أكَّد الرَّب يسوع على هذا الأمر للمرأة السَّامريَّة (يوحنَّا ٤: ٢١) ولتلاميذِه عند تناوُله موضوع التَّأديب الكنسيّ (متَّى ١٨: ٢٠، وهذا بالتَّأكيد عنصرٌ جليلٌ مِن حياة الكنيسة المُجتمعة معًا). لم يعُد مكان العبادة في العهد الجديد مُرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بموقعٍ جغرافيٍّ وهيكلٍ مادِّي، بل بشعبٍ مُجتمعٍ. ولهذا السَّبب كان يُقال في التَّقليد الإسكتلنديّ القديم، عند تجمُّع النَّاس للدُّخول إلى مبنى الكنيسة: "الكنيسة تدخل" وليس كما نقول غالبًا: "نحن ذاهبون إلى الكنيسة". إنَّ موقع حضور الله الخاص أو موضعه في العهد الجديد مع الكنيسة المُجاهدة هو في هذا الجسد المُجتمِع، أينما كان؛ سواء في المقابر أو أمام أحد المتاجر أو في مبنى كنيسة جميل. وهذا الأمر هو ما يجعل العبادة الجماعيَّة مُهمَّةً للغاية.

ما يُميِّز على نحوٍ كبير وجهة النَّظر الخاصَّة بالعبادة العامَّة بالكامل التي يمتدحها هذا الكتاب، هو أنَّنا نهدف أنْ يكون شكلُ عبادتنا الجماعيَّة وجوهرها كتابيًّا، وأن يكون الاثنان مُشبعَيْن بالكتاب المُقدَّس واللاهوت الكتابيّ ويسترشدان بهما. والشِّعار المُناسب لهذا التَّوجُّه هو: "اقرأ الكتاب المُقدَّس، وعِظْ الكتاب المُقدَّس، وصلِّ الكتاب المُقدَّس، ورتِّل الكتاب المُقدَّس، وافهم الكتاب المُقدَّس، وهو ما يبدو مرئيًّا بوضوحٍ في مراسم المعموديَّة والعشاء الرَّبَّاني".

أبحَث بوصفي راعيًا دائمًا عن الكُتَّاب المُؤمنين الرَّاشدين ممَّن يُمكنهم مُساعدتي في شرح هذه النَّوعية مِن الأمور الحقيقيَّة والصَّالحة والمُهمَّة على نحو أفضل، وبطريقةٍ كتابيَّةٍ تتَّسم بمزيدٍ مِن البساطة والوضوح والإقناع. ويُساعدني مات ميركر على فعل هذا الأمر تحديدًا في هذا الكتاب. لقد قلتُ في نَفْسي كثيرًا لدرجة أنَّني لم أعد أحسب عدد المرَّات: "هذه نقطة بليغة حقًّا. وهذا يُساعد روحي، ويُمكنني استخدام هذه الحقيقة الكتابيَّة، المُوضَّحة بهذه الطَّريقة، لإعداد القدِّيسين على نحوٍ أفضل في تسبيحهم العام لله". لكنَّه يُساعدني أيضًا على تشخيص بعض الصُّعوبات الحاليَّة الخاصَّة بشعبي في فهمهم للعبادة الجماعيَّة ومُمارستها. ومِن بين نقاطٍ أُخرى، تبرز نقطتان بالنِّسبة إليَّ.

يذكُر مات ميركر ما يُسمَّى "بالبراغماتيَّة الليتورجيَّة"، وهي قرار بفعلِ "كلّ ما ينجح" للوصول إلى غير المُؤمنين والكرازة إليهم. وأعتقد أنَّ هذا المنهج أدَّى فعليًّا إلى تفكيك كنائس كثيرة في حياتي، وحَرَمَ أجيالًا مِن المُؤمنين مِن فَهم ما يُفترض أن تكون عليه العبادة الجماعيَّة المسيحيَّة. وهذا التَّحدِّي ليس خطأ النَّاس، إنَّما خطأ الرُّعاة والقادة أصحاب النِّيَّات الحسنة، الذين يريدون توصيل الإنجيل إلى غير المُؤمنين، فهم يرغبون بصدقٍ في "ضمّ المحرومين مِن الكنيسة إلى الكنيسة"، لكن ينتهي بهم الأمر

إلى "حرمان الكنيسة مِن الكنيسة". وبسبب البراغماتيَّة الكرازيَّة، لا تتبع خدماتهم الأنماط والمبادئ الكتابيَّة، وكثيرًا ما تكون مُجرَّدةً مِن المُحتوى الكتابيّ. فلا عجب مِن أنَّ التَّلمذة والعبادة الجماعيَّة تُعانيان في مِثل تلك الأوضاع. أعتقد أنَّ مات ميركر مُحِقٌّ في توجيه إصبع الاتِّهام لهذا الأمر، باعتباره مشكلةً أساسيَّةً في عصرنا، ومع الأسف، ما زالت المشكلة قائمةً. على مدار خدمتي طوال سبعة عشر عامًا في الكنيسة المشيخيَّة الأولى في مدينة جاكسون، شهدتُ أعدادًا كبيرةً مِن الشَّباب المسيحيّ ينضمّون إلى شعب كنيستنا تحديدًا، لأنَّهم كانوا يهربون مِن هذه النَّوعيَّة مِن الأوضاع. لقد كانوا يبحثون عن شرحٍ كتابيّ سليم وعبادة جماعيَّة كتابيَّة وقويَّة.

المُشكلة الأُخرى المُهمَّة، التي يذكُرها مات ميركر، هي عقليَّة المُستهلك، وهذه مُشكلة الشَّعب، لكنَّها تتفاقَم بسبب الرُّعاة والقادة الذين يستغلُّونها. وإذا صِرنا مِثل مُستهلكين دينيّين في خدمات العبادة العامَّة، فسيكون لدينا سلوك العميل، وكما يقولون: العميل دائمًا على حقّ. وسيتعلَّق الأمر كلُّه بما نريده، وما نُفكِّر فيه، وما نُدلي به مِن آراء. لذلك نسأل: "هل أعجبني الموسيقيُّون والموسيقى؟" بدلًا مِن سؤال: "هل ساعدني التَّرنيم الجماعيّ على عبادة الله؟ وهل كان مُمتلئًا بالحقِّ الكتابيّ؟" ونسأل كذلك: "هل أحببت الواعظ ووعظه؟" بدلًا مِن سؤال: "هل كان الوعظ أمينًا للكتاب المُقدَّس؟ وهل قدَّم شروحات عن اللهِ والإنجيل والتَّقوى بالاستناد إلى كلمة الله؟ وهل استجبتُ له بإيمانٍ ودهشةٍ ومحبَّةٍ وتسبيحٍ لله؟" جعل سي. إس. لويس الشَّيطانَ "خُربُر" ينصح شيطانه البديل "علقم" بأنَّه إذا لم يتمكَّن مِن شفاء شخصٍ ما مِن معضلة الذهاب إلى الكنيسة، فعليه أن يسعى إلى تحويله إلى ذوَّاقةٍ أو خبيرٍ في الكنائس: "مِن شأن البحث عن كنيسةٍ "مُناسبةٍ" أن يجعل المرء ناقدًا، مع أنَّ العدوَّ يريد له أن يكون تلميذًا".[٢]

٢ مِن كتاب "رسائل خُربُر"، سي. إس. لويس.

إذا فكَّرنا في أنفسِنا أنَّنا مُستهلكون، فسنرى أنفسَنا جمهورًا، وسنرى الواعظ والخدَّام الآخرين، الذين يُساعدون في قيادة الخدمة، خصوصًا الموسيقيِّين، مثل مُؤدِّين موجودين لإلهامنا أو ربّما تسليَتنا، بدلًا مِن أن نفهم أنَّ الله هو الجمهور، ونحن مُتسوِّلون ومُتمرِّدون وأعداء، لكن الله جعلنا ورثةً وأصدقاءَ وأبناءً له من طريق محبَّة الآب، وطاعة الابن وموته وقيامته، والولادة الجديدة بالرُّوح القُدس، وأنَّنا جئنا الآن بنعمتِه لتقديم شيءٍ للهِ لا أحد يستحقه إلّا هو وحده، ونحن لا نستطيع تقديمه إلّا عبر الرَّب يسوع المسيح، حتَّى يُمكننا أن نكون ما خُلقنا أن نكونه (مُتعبِّدين) ونستمتع بما جعلنا نتمتَّع به، وهو أعظم وأعمق وأفضل كنز في العالَم كلّه (الله الثَّالوث نفسه، والشركة معه).

لذا، أقول إنَّ مات ميركر يُساعد كُلًّا مِن الرُّعاة والنَّاس على التَّفكير بطريقةٍ كتابيَّةٍ في العبادة الجماعيَّة. ويطلُب منَّا التَّفكير في مَن سيجتمع تحديدًا للعبادة، وضرورة هذا الاجتماع، وهدف اجتماعنا، ومُحتوى عبادتنا الجماعيَّة أو جوهرها، وترتيب اجتماعنا أو هيكلته، ومُشاركتنا في الاجتماع. لقد أحببتُ تناوله الثلاثي للتَّمجيد والبنيان والكرازة.

أعتقد أنَّ قراءة هذا الكتاب الصَّغير ستُساعدك، كما ساعدتني. ربما تقرأه كلّه في جلسةٍ واحدةٍ، لكنَّني أعتقد أنَّك ستعود إليه مُجدَّدًا، كما فعلتُ أنا بالفعل، وأُخطِّط للعودة إليه في الأيام المُقبلة، بمشيئة الله.

ليجون دنكان
المُستشار والرَّئيس التنفيذي لكُلِّية اللاهوت الإصلاحي
والحائز كرسي "جون ريتشاردز"، أستاذ اللاهوت النِّظاميّ والتَّاريخيّ